مراجعـــات

في فلسفة الوعور ، وفي الفاروق

للأستاذ عباس محمود العقاد

ظن الأستاذ بقولا الحداد أننا نهكمنا حين قلنا له ما نحواه : إنه محتاج إلى أن يراجع مصادره الفلسفية .

وسيرى الأستاذ الآن أننا نجد ولا نتهكم حين نقول له هذا ونقول له أكثر من هذا : إن مراجعته لمصادره العلمية ألزم وأعجل ، ولا سيما مصادره عن إينشتين الذي يلوح على الأستاذ الحداد أنه يريد أن يتكلم عنه في مصر كما يتكلم الحواريون عن رسلهم المختارين .

في شهر يونيو سنة ١٩٣٠ ألقى العلامة إينشتين في جامعة أوكسفورد — بانجلترا — محاضرة علمية كان لها دوي كبير في المعاهد العلمية والفلسفية ، لأنه ألمع فيها إلى خاطرة جديدة يحاول أن يفسر بها اتصال القوى بين الأجسام بغير الوسائط المفروضة ، وتحدث عن جوهر الفضاء ، أو مادة الفضاء ، أو المادة الفضائية Space Substance ؛ لأن التجارب الكثيرة لم تثبت للأثير المزعوم وصفاً من الأوصاف لا ينطبق على الفضاء . فمن المحتمل على هذا التقدير أن يكون الفضاء جوهراً مادياً لا نحتاج معه إلى فرض الأثير .

ولم يكن إينشتين أول من قال إن الفضاء ليس بخلاء ؛ فإن الفلسفة القديمة التي يحاول الأستاذ الحداد أن يترفع عنها ، قد سبقت إلى القول بامتناع تصور الخلاء في الوجود ، وقال معظم أساطينها بأن الفضاء لا يعني العدم ولا يعني الخلاء .

قلنا هذا للأستاذ الحداد فعاد يكتب في الرسالة قائلا — بكل ثقة وكل اطمئنان — : إن إينشتين لما قال Space Substance عنى المكان المشغول بالمادة ولم يعن الفراغ المطلق . فتى قلنا المكان عندنا مكاناً مملوءاً بالمادة .

والعجب أن يخطر للأستاذ الحداد — أو لغير الأستاذ الحداد — أن جامعة من الجامعات تدعو عالماً من أكبر علماء الأرض إلى المحاضرة فيها ليقول للناس أن المقصود بالمادة الفضائية هي المادة التي توجد في المكان .

والعجب أن يخطر للأستاذ الحداد — أو لغيره — أن المعاهد العلمية تهتز لهذا النبأ وتوفد الرسل إلى إينشتين لتحصل على المزيد من شرح هذا الرأي الجديد .

ولكن الواقع أن المعاهد العلمية قد اهتزت لهذه المحاضرة ، أو لهذه النظرية ؛ لأنها فهمت منها شيئاً غير الذي فهمه الأستاذ الحداد : فهمت منها أن الفضاء نفسه مادة قد تغني عن فرض وجود الأثير .

وليس أكثر من الكتب والرسائل التي خاضت في هذا الموضوع ، ولكننا نكتفي منها برسالة مبسّطة أصدرتها دار الطباعة التي يديرها « هالدمان جولياس » في كانساس بالولايات المتحدة ؛ لأن السؤال فيها بسيط لا إبهام فيه ، والجواب كذلك على قدر السؤال .

سئل الدكتور لويس لونشتين Loewenstein تلميذ إينشتين وشارحه المعروف عما يعنيه أستاذه الكبير . فقال ما نصه بالانجليزية :

Einstein goes Further Than this. he claims That - Space which was in The earby Ages rgar-ded As Void ' And For which Mobern Physics Has Invented The Name Ether in Order to Help Explain Some of the Phenomena occurring in Space s now A Substanes

وترجمة هذه العبارة : « إن إينشتين يذهب إلى أبعد من هذا . ويزعم ... أن الفضاء الذي كان في عصور متقدمة يعتبر خلاء ، واخترعوا له في علم الطبيعة الحديث اسم الأثير للاستعانة به على تفسير بعض الظواهر الطبيعية التي تقع في الفضاء ، هو الآن مادة ، أو جوهر .

ومضى الدكتور لونشتين يقول إن مادة إينشتين الفضائية قد يتضح أن تكون من المادة ، وقد يتضح أن تكون من جوهر لن تدركه حواسنا ويروع من كل دليل مباشر في المعامل ؛

will Neven Become Known to our Senses

أما الدكتور لونشتين هذا فهو الذى قدم إينشتين إلى معات وقاعات المحاضرات عنـد زيارته للولايات المتحدة فى ١٩٢١ . وهو على علمه بمباحث الضوء والكهرباء ، حجة شؤونها العملية ومستشار فنى معروف لشركات من أكبر ركات الكهربائية ، وعلمه بهذه المسائل لا يقل عن علم ستاذ الحداد على أقل تقدير .

فليس قصارى الأمر أن الفضاء لا يوجد إلا إذا وجدت فيه المادة التى نعرفها . بل تقضى هذه الخاطرة بأن الفضاء نفسه مصدر تكوين المادة ، وأن جوهره قد يدق عن الحس وعن ناوب فى معامل العلماء .

والأستاذ الحداد يقول بأن الوقت عدم أو وهم من الأوهام . فله أن يضيع منه ما يشاء . أما نحن فلا نقول بأنه عـدم بأنه وهم . ولهذا لن نضيع منه أكثر مما أضعناه فى إقناع ستاذ الحداد بأنه محتاج إلى التواضع بين يدى الفلسفة التى دها ، على هذا النحو من التفكير .

* * *

هذه مراجعة .

أما المراجعة — أو المراجعات الأخرى — فهى عن صفات وق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهى مما نتلقاه كثيراً فى الأيام من جانب الأساتذة ، ومن جانب التلاميذ والتلميذات وبودنا أن نجيبها جميعاً لولا أن السؤال عن المفردات اللغوية فيه الرجوع إلى المعجمات ، ولا تتسع له الصحف والمجلات يقرأها من يعرفون تلك المفردات ، أو يمكـون الرجوع إلى المعجمات .

ولهذا نكتفى بالجواب عن المسائل الفكرية أو النفسية ، المسائل التى يسرنا من التلاميذ والتلميذات على الخصوص غبلوا على بحثها والنظر فى معانيها وتكوين الرأى فى دقائقها جمة والاستفسار .

سأل أستاذ فاضل عن أسلوب عمر فقال إن بعض العبارات نسبت إلى عمر قد تكون من قبيل العبارات التى تضاف إلى العظماء المشهورين ، وليست هى من أقوالهم على التحقيق .

ورأينا فى هذا أن ميزان التشكيك ينبغى أن يحمل بكفتيه ولا يحمل بكفة واحدة .

فإذا كان العظماء جميعاً سواء فى نسبة العبارات إليهم ، فهل اجتمع مثل هـذه العبارات فيما نسب إلى الصديق ؟ هل اجتمع مثلها فيما نسب إلى الإمام ؟ وهل اجتمع مثلها فيما نسب إلى معاوية أو إلى عمرو بن العاص ؟

إن كان الأسلوب واحداً فيما نسب إلى جميع هؤلاء فالشك هنا معقول .

أما إن كانت العبارات المنسوبة إلى عمر كلها مما تنفرد به ، فهى صالحة للاستدلال بهـا على أسلوبه الخاص الذى لا يشركه فيه سواه ، وبخاصة حين تتواتر ذلك التواتر الذى أحصينا شواهده فى الكتاب .

* * *

وسأل الأستاذ الفاضل عن قصة الحيلة التى استعملها عمر مع أبى سفيان حين مد يده إلى خاتم فى يد أبى سـفيان فأخذه منه وبعثه إلى زوجته ، وأمر الرسول أن يقول لهـا باسم زوجها : انظرى الخرجين اللذين جئت بهما فابعثيهما .

ويقول الأستاذ إنه يخالف الرواية ويرى أن عمر كان أولى أن يبهم العدد لأنه ربما يكون فى العـدد الذى ذكره نقص أو زيادة .

ورأينا أنها رواية أمامنا ، وأن الجزم بنفيها هو « الادعاء » الذى يقوم على غير دليل لأن الجزم بالنفى هنا حكم باستحالة جميع الاحتمالات التى تقع فى الخاطر ، وليس شىء منها بمستحيل .

فمن المحتمل أن عمر كان يعرف عادات السروات من العرب فى رحلاتهم ، أو يعرف على التخصيص عادات أبى سفيان .

ومن المحتمل أن عمر استكثر ثلاثة أخرجة على رحلة واحدة ، واستقل خرجاً واحداً يعود به أبو معاوية من عنده وهو أمير على على الشام ؛ فتوسط بين العددين .

ومن المحتمل أن عمر رأى ضرورة التحديد ؛ لأنه لو طلب كل ما جاء به أبو سفيان من أمتعة السفر لاستغرقت زوجة

أبي سفيان وفطنت لما يراد . فجازف هذه المجازفة — بعد ذلك التقدير — وصحت مجازفته لحفظات وروية ، ولو لم تصح لما سمعنا بها أو لسمعنا من شأنها غير ذلك .

ومن المحتمل أن عمر قد علم بنبأ الخارجين وكانت له عيون تترقب العائدين من الرحلات ، كما ذكرنا في الكتاب .

فلماذا ندعي أن الذي حصل هو غير ما جاء في الرواية ، وليس لدينا ما نمنع به احتمالا واحداً من جميع هذه الاحتمالات ؟

* * *

أما الأسئلة التي تلقيتها من التلاميذ والتلميذات ، فمنها سؤال من الآنسة « رسمية علي خليل » بالمدرسة السنية تطلب فيه مثلا على فطنة الفاروق ، وهي صفة من صفاته التي وردت في باب الصفات من الكتاب .

والفطنة إنما يستدل عليها بالكلام الذي ينم عن فهم الطبائع والأخلاق ، وفي كلام الفاروق الذي أوردناه ما يدل على فطنته لهذه الأمور .

أو يستدل عليها بالأعمال ، وقد دلت أعمال الفاروق على الفطنة في كل ما تولاه من تسيير الجيوش وتدبير الفتوح وتنظيم البلدان وتوجيه النصائح إلى الولاة والقادة والقضاة ، وإنشاء الدواوين واستشارة ذوي الرأي من الشيوخ والشبان .

أو يستدل عليها بشهادة العارفين ، وقد شهد له بها أكبر دهاة العرب كالمغيرة وعمرو بن العاص .

وقد سألت الآنسة عن الفرق بين الرؤية والرؤيا والشعور على البعد ، وكلها مما يدل على الاهتمام بعالم الغيب ، أو أن الإنسان لا يقصر همه على الواقع المحسوس ، ومن هنا يكون على استعداد للتدين والإيمان ، ولهذا ذُكرت هذه الخصال ، أو هذه الملكات لبيان استعداد الفاروق بطبيعته لقبول الدين .

والرؤية هي أن يتراءى للانسان منظر أو صورة لا يراها غيره بحواسه المعهودة ؛ لأنها تتمثل في النفس على نحو من ظهور الأشباح للنائم في حلمه . وقد يراها المستعد للرؤية وهو في حالة من حالات الغيبوبة . وقد تكون رمزية يفهم منها الرائي معنى من المعاني على طريقة الفهم من الرموز والكنايات . والفرق بين الرؤية والتلبائي أن التلبائي ينتقل بين شعورين على البعد ، وقد تظهر الرؤية لإنسان واحد ولا تكون لناظرها صورة خارجية يتلقاها الآخرون بحاسة النظر المعهود .

والاعتداد بالرؤيا هو اهتمام الإنسان بما يراه في أحلامه ، وليس من دأب كل إنسان أن يهتم بهذه الأحلام أو يتخذ منها دليلا على حادث مخبوء له في الغيب .

على أنني أرجو الآنسة معذرة إذا أحلتها على نفسها وهي تستوضح هذه العبارة : « كانت الرحمة من صفاته التي وازنت فيه العدل أحسن موازنة » ؛ فإنها تسأل عن معنى هذا مع تفصيل الكلام فيه عدة صفحات ، وعليها هي أن تجهد نفسها لتجيب سؤالها ، وهي قادرة على الإجابة بغير جهد كبير .

واسألها وزميلاتها معذرة إذا أحلتها على علم أساتذتها وعلم المعجمات في تفسير بعض المفردات ؛ فليست هي مما يخفى على الأساتذة أو يخفى عليها إذا رجعت إلى تفكيرها ، أو رجعت إلى معجم صغير مما يتيسر للطلاب في معاهد التعليم .

عباس محمود العقاد

محمود الخفيف

يقـــدم

أحمد عرابي

الزعيم المفترى عليه

يطلب من دار الرسالة

ومن المكتبات الشهيرة وثمنه ٥٠ قرشاً

عدا أجرة البريد